جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال
لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة ثم انه تعالى
قال بعد ذلك ثم استوى الى السما فهذا يقتضي ان الله تعالى خلق السما بعد
خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السوال ثم قال
والمختار عندي ان يقال خلق السما مقدم على خلق الارض وتاويل
الاية ان يقال الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه
قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير
الاية اوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت ان
الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل عبارة عن التقدير والتقدير
في حق الله تعالى هو حكمه بان سيوجده واذا ثبت هذا فنقول قوله
تعالى خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضى الله
تعالى انه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشي في الحال
فقضا الله تعالى بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السما
وحينئذ يزول السوال تعاليا اي السما عقب هذا الاستوا وللارض
ايتيا اي تعاليا واقبلا ممتثلين وقوله تعالى طوعا او كرها مصدران في
موضع الحال اي ايتيا طائعتين او كارهتين قالتا اتينا اي نحن وما
فينا وما بيننا طايعين اي اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير
اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيا من الخطاب والجواب
ونحوه قول القايل ○ قال الجدار للوتد لم تشقني ○ ○
○ قال الوتد سل من يدقني ○ لم يتركني ورآء الحجر الذي ورائي فان
قيل هلا قال طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى لانهما
سموات وارضون اجيب بانه لما جعلهن مخاطبات ومجيبات

ووصفهن

ووصفهن بالطوع والكره قال طايعين في موضع طايعات نحو قوله
ساجدين تنبيه جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل على جمعهما في الزمان
بل قد يكون القول لهما متعاقبا فان قيل ان الله تعالى امر السما والارض
فاطاعتا كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال
تعالى يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله تعالى
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي
واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات
والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف عليهما وجه هذا الوجه
الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وها هنا
لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع العقلا فقال تعالى قالتا اتينا
طايعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها عارفة
بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى عليها واجاب الرازي
عن هذا بان المراد من قوله تعالى ايتيا طوعا او كرها الاتيان الى
الوجود والحدوث والحصول على هذا التقدير فحال توجه هذا الامر
كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لم يجز فثبت انه
حال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة لم تكن عارفة
ولا فاهمة للخطاب فلم يجز توجه الامر اليهما فان قيل روى مجاهد
وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات والارض اخرجا
ما فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سما فاطلعي شمسك
وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك
وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه

Copyright © King Saud University